نشوء وتطور مفاهيم الديمقراطية في الفكر العربي الحديث:

**محاضرة في مادة حقوق الانسان لطلبة المرحلة الاولى / قسم الفيزياء**

**استاذ المادة/ المدرس الدكتور انتصار عبد عون محسن**

قضية الديمقراطية هي إحدى القضايا الرئيسية التي إنشغل بها الفكر العربي منذ بزوغ فجر النهضة الحديثة،وقد شهد الوطن العربي تطوراً في مفاهيم الديمقراطية جاء بفعل تغيرات مهمة حدثت فيه على مدى القرنين الماضيين.

من الجدير بالذكر ان هناك مفاهيم الديمقراطية مرت بالعديد من المراحل التي يجب ان نتعرف عليها قبل التطرق لهذا الموضوع كي تكتمل الصورة ويتم المعنى.

1- خلال العهد العثماني والسيطرة الأجنبية:

خاصة بطبيعة الفترة الزمنية التي شهدت هذا التطور. فهي فترة زاخرة بالأحداث والتحولات والتغيرات،حافلة بتحديات ضخمة جابهت الأمة العربية وبإستجابات مختلفة لهذه التحديات.

كان الوطن العربي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي،يعيش معظمه تحت لواء الدولة العثمانية التي شهدت آنذاك أحداثاً مهمة على الصعيدين الداخلي والخارجي،وظهرت محاولات إصلاح بعد أن عانت من الحرب مع روسيا.

ولم تلبث مصر أن تعرضت للغزو الفرنسي عام 1798 الذي قاده نابليون بونابرت فقاومته وأفشلته،وتولى الحكم محمد علي وأسرته منذ عام 1805 وأقام دولة قوية لم تلبث أن اتسعت وشملت أجزاء أخرى من الشام والجزيرة العربية والسودان،ثم انكمشت وتعرض الوطن العربي لموجات أخرى من الغزو الاستعماري الأوربي بدأت بغزو فرنسا للجزائر عام 1830 واحتلت بريطانيا العراق وفرنسا بلاد الشام وانتهت الدولة العثمانية بفقدانها الوطن العربي كله.

وقسمت الدول الأوربية المستعمرة بريطانيا وفرنسا وايطاليا الوطن العربي وتقاسمته واحتدمت المقاومة في فترة ما بين الحربين من قبل الشعب العربي واستقلت مجموعة أقطار عربية باستثناء فلسطين.

2- تطور مفاهيم الديمقراطية بعد الاتصال الحضاري بالغرب :

خاصة بطبيعة الطور الحضاري الذي عاشته الأمة العربية في هذه الفترة،فهو طور انبعاث حضاري بانت آثاره بوضوح في مجالات حياة الأمة المختلفة. وقد تجسد في نهضة عبرت عن نفسها في محاولات إصلاح وتجديد وإحياء.

وقد عاشت الأمة العربية تحولات واسعة ومهمة. كما تأثرت تأثيراً شديداً بمحيطها الخارجي بفعل إحتكاكها بالغرب الأوربي.

يجدر بنا ان نلاحظ ان التفاعل بين حضارتين حين يحدث بفعل الغزو فإن من ظواهره ان التأثير يسري عادة من الحضارة الأقوى إلى الأضعف،وان حداً من التأثير بين الحضارتين لا بد من أن يحدث فيتأثر الأقوى بالأضعف.وقد شهدت تلك المدة وصول العديد من المصطلحات الحديثة على مسامع شعوب المنطقة فمصطلح (الديمقراطية) لم يتداول على نطاق واسع في الوطن العربي إلا في أعقاب الحرب العالمية الأولى(1914-1918).

لقد كان العرب يستخدمون مصطلحات أخرى حيث يبحثون في هذه القضية. فهناك مصطلح (الشورى) الذي كان شائعاً،ومصطلح (أهل الحل والعقد)،ومصطلح (العدل والأنصاف) ومعلوم ان العرب،شأنهم شأن أمم أخرى في آسيا وأفريقيا،وجدوا أنفسهم في القرن الأخير أمام سلسلة من المفاهيم والمؤسسات السياسية الغربية وافدة من أوربا.

3-أصول مفاهيم الديمقراطية في الفكر العربي :

خاصة بأصول هذه المفاهيم في الفكر العربي الإسلامي فالديمقراطية في فلسفة الحكم العربي توضح ان الفكر الإسلامي في منابعه – وهي القرآن الكريم والحديث والتطبيقات زمن الراشدين – يعتبر الأمة هي الأساس. فهي مصدر السلطات ولا تجتمع على ضلال وهذه الأمة تقوم على فكرة المساواة. لا سادة فيها أو مسودين.

والشريعة هي ان تحدد لكل حقوقه ومسئوولياته، وان الأفراد يتفاضلون بالكفاية والعمل. والأمة هي التي تختار الإمام بالبيعة.

ويؤكد الفكر على الشورى، وعلى دور أهل الحل والعقد وهم في الأساس ممثلو الأمة. ويفترض ان تتوافر فيهم مؤهلات تؤهلهم لذلك. وهناك استشارة أولي الرأي والعلماء في الأمور العامة. وتأكيد ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يتطلبه من حرية الرأي.

4-مفاهيم الديمقراطية في الفكر الغربي :

تطور مفهوم الديمقراطية في الغرب على مدى القرنين الأخيرين.مع ان فكرة الديمقراطية قديمة كإسمها،وتعود إلى عصر إزدهار الحضارة الإغريقية.إلا إنها في القرن الثامن عشر،حين بشر المفكرون الأوربيون بفكرة المساواة طالبوا بحق الشعب في اختيار حكومته والإشراف عليها ظهرت بعد ذلك حركة الديمقراطية الإجتماعية والإقتصادية التي لا تحصر الديمقراطية بحق التصويت وتعميمه،وإنما تتجاوزه إلى إعطاء حقوق الأفراد والطبقات محتويات اقتصادية وإجتماعية.

ان مفهوم الديمقراطية في الغرب نفسه تفرع إلى مفاهيم منها الديمقراطية التحررية (الليبرالية) القائمة على الإقرار بحقوق الفرد المختلفة في الدين والفكر والتعبير وفي العمل والاجتماع والانتقال،في إطار الملكية الفردية التي توفر لها الضمانات النافذة.

والديمقراطية السياسية المستمدة من حق المواطن في المساهمة في تكوين الحكم ومراقبته متخذة أشكالاً حكومية مختلفة كالبرلمانية والرئاسية وهي وثيقة الصلة بسابقتها.